

أ.د. عماد عبد السلام رؤوف في عيون الباحثين العراقيين

د. أحمد ناجي الغريبي *

● مقدمة:

من نعم الله على الإنسان، أن يُبقي الله لعبده ذكراً حسناً، فالأعمال الحسنة هي التي تخلد الإنسان، فما يبقى بعد موت الإنسان سوى عمل صالح ينفعه. وما دمنا وأقربين عند سيرة قامته من قامات العلم والعلوم في الوطن العربي والعراق بخاصة، وهو الاستاذ الدكتور عماد عبد السلام رؤوف، فقد أثرت أن استشهد ببعض من كتب عن الدكتور عبد السلام، سواء ممن تتلمذ عليه أو رافقه في مسيرة العلم، فشهد حسن خلقه ورقة تصرفه وطول أناته، حتى ظننت أن لا أحد في هذا الكون لا يحبه، من طلبته أو زملائه، وحتى مشاهديه عبر التلفاز، حيث يستمتعون بحديث صادق لا يجمال فيه ولا ينتهز، وجدته ومن خلال موقفين رجلا عالما شجاعا وعالما نابها. ادركت شجاعته حين ظهر ومن على التلفاز ايام النظام السابق في برنامج كان قد استضاف عدداً من الاساتذة، وكان الحديث يدور حول خالد بن الوليد، إذ أننى عليه جميع الحاضرين، وتطرقوا لجوانبه المضيئة من دون التطرق للجانب المظلم في مسيرة هذا الرجل، ولكن الدكتور عبد السلام رفض كل هذا الاطراء او القول بعدالته، منتهيا الى القول بأنه رجل استغل مكانته وسل السيف على خصومه ومقاطعيه رغبة في الجاه والسلطة. ولك ان تتصور يا من كان شاهدا على تلك الايام ما هو مصير من يتقاطع مع توجهات الدولة وميولها، مهما كانت منزلته، وعلى هذا الاساس، اتفق الاكثريه على أن عبد السلام سوف لن يبقى لاكثر من يومين. ولكن الله سبحانه وتعالى وقف بالضد من هؤلاء وحفظه وأدركت نباهته الفائقة حين كان مشرفاً على رسالتي في الماجستير، وكنت مترددا نوعاً ما لصعوبة المرحلة، ويبدو انه أدرك ذلك وشعر بقلقي!. وفي ذات مرة جاءه صحفي وطلب منه أن يكتب كلمة لمناسبة وطنية وقتذاك. وهنا تظهر خصاله التربوية والنفسية حين التفت

* جامعة الكوفة _ كلية الآداب

العدد الثاني _ 2019



نصوي وقال: اريدك أن تعينني على كتابة هذا المقال! صمت فجأة، وقلت استاذ وكيف يكون ذلك، وانا لا ازال في بداية الطريق ؟ فتبسم وقال: بل العكس انا اشعر بقدرتك على ذلك!. نعم هو يدرك قلقي ويدرك انني غير قادر على مساعدته في كتابة المقال، ولكنه بهذا الاسلوب كان قد عزز ثقتي بنفسي، فالاستاذ الدكتور عماد بنفسه يطلب مني العون، فهذا يعني لي الشيء الكبير والكثير، وبالفعل منذ تلك اللحظة وجدت انني غير مدرك لقدرتي التي تعززت منذ تلك اللحظة في داخلي لدرجة عالية جعلتني اتمكن من تأليف اول كتاب لي وانا في مرحلة الدراسات العليا. هكذا هو الاستاذ عماد ومخرجات عمله. ومن اجل أن نسلط الضوء على ما قيل بحقه من زملائه وطلبته، فقد أدرجت في هذا البحث الموجز عدة مقالات او ابحاث عن هذا العالم، مع أن هناك اعداداً من المقالات والابحاث تتحدث عنه، لكن في قابل الايام سيكشف عنها انشاء الله وهي تطري على شخص الدكتور عماد.

لقد توفر لدي عدد من الابحاث والمقالات بحيث تشكل بحثاً من الممكن إشراكه في عدد مجلة المورد المخصص للحديث عن الدكتور عماد عبد السلام، من خلال التعريج ولو بعجالة على ما كتبه بعض الباحثين من مقالات ومن تأليف لكتب ومحاضرات عن هذه الشخصية الفذة. وكان لنا حضوراً في هذا الكرنفال الذي ستحظى به مجلة المورد حين خَصَّصْتُ باباً للاحتفاء بالمرابي والمعلم وهو يدخل في عقده السابع من العمر... نسأل الله الواحد الأوحد أن يطيل بعمره ويؤيده في مسعاه العلمي والأخلاقي.

أولاً: الدكتور عماد عبد السلام رؤوف والتاريخ العثماني... د. إبراهيم خليل العلاف

وفي سياق ذكر من كتب عن الأستاذ الدكتور عماد عبد السلام رؤوف، فأن الدكتور إبراهيم العلاف ومن خلال بحثه المعنون بـ « الدكتور عماد عبد السلام رؤوف والتاريخ العثماني» عمد الى التعريف بالأستاذ عماد عبد السلام رؤوف، واستقرأ جانب من شخصيته العلمية. مؤكداً أنه تعرف الى عبد السلام من خلال مجلة (المجلة) التي كان يصدرها الأستاذ قاسم محمد الرجب صاحب مكتبة المثني العامرة. وكانت اغلب مقالاته، وأخباره في المجلة تتعلق بما كان ينجزه الكتاب والباحثون العراقيون المهتمون بالتاريخ العثماني، وبتراث العراق ومنجزات مؤرخيه في هذا العصر المزدهم بالأحداث والوقائع والأفكار والمؤلفات والمصادر.

وأكد العلاف ان وجودهما سوية في كلية الآداب / جامعة بغداد مطلع السبعينيات بعد ان تم قبولهما في الدراسات العليا، وأشار الى أنهما عملا سوية في مشاريع وزارة الثقافة العراقية ذات الطابع التاريخي ومنها: موسوعة «حضارة العراق» و «العراق في مواجهة التحديات». فضلاً عن ذلك، فقد تعدت علاقتهما الى الاشتراك سوية في الندوات والمؤتمرات التاريخية ومناقشات رسائل وأطروحات الماجستير والدكتوراه.

وبعد هذه النبذة الموجزة عن نهوضه الفكري، يلتفت العلاف الى ذكر أهم ما أنتجه من الأبحاث والدراسات. فأن لديه الكثير من الكتب المؤلفة والدراسات الاخرى حيث ألف عددا كبيرا من الكتب والدراسات التي تجاوزت المائة كتاب

وأكثر من أربعين كتاباً محققاً. وذكر تلك الكتب المؤلفة والمطبوعة. وآثرنا أن نذكر أول كتاب وآخر كتاب، فكان الأول بعنوان «مدارس بغداد في العصر العباسي» ١٩٦٦، وآخرها لم نستطع أن نحدده، لأن الدكتور - عافاه الله وأطال بعمره - قد فقد زوجته... ويقول أن عبد السلام: منتج مزدوج من المؤلفات، ولا سيما في السنوات الأخيرة، حيث التفت إلى التراث الكردي، بعد أن أستقر في أربيل عقب ما تعرض له من سياسة التعنيف والتهديد من قبل عصابات داعش الإرهابية. أما أبحاثه ومقالاته ودراساته فليس من السهولة بيانها، بل تحتاج إلى وقت وجهد كبيرين. لكن مما لا بد من الإشارة إليه أن معظمها يدور حول تاريخ وتراث العراق في العصر العثماني. فثمة دراسات عن مساجد بغداد، وسجلات المحكمة الشرعية، وتاريخ مشاريع مياه الشرب القديمة في بغداد، ونظم المدارس العثمانية، ومؤرخي الكوفة، وصفحات مجهولة من تاريخ النجف الأشرف في القرن الثالث عشر الهجري، وسمود البصرة أثناء حصار نادر شاه، والعلاقات الزراعية في العراق إبان القرن الثامن عشر، وعبد الرحمن حلمي ومخطوطته في تاريخ بغداد في القرن التاسع عشر، ومن تاريخ الخدمات النسوية العامة في الموصل، وأضواء على انتفاضة الموصل المنسية سنة ١٨٣٩، وعن العملات المستعملة في الموصل وأقيامها في العصر العثماني و«نشأة التنظيمات السياسية في أواخر العصر العثماني» و«الأصناف والتنظيمات المهنية». وفي نهاية مقالته عن الدكتور عماد عبد السلام، واختتم العلاف مقالته: تمنياتنا للدكتور عماد عبد السلام

رؤوف بالموفقية والاستمرارية في ترسيخ أسس المدرسة التاريخية العراقية والعربية التي تستند إلى المنهجية العلمية الصارمة، وتقدم كل ما هو مفيد لإقالة الأمة من عثراتها، وتوضيح طرق التقدم والتنمية اللازمة بالاستناد إلى الدرس التاريخي والاستفادة من تجارب الأمم في البناء والإسهام في منجزات الحضارة الإنسانية المعاصرة.

ثانياً: كتاب الباحث نوشيرون محمد مجيد رسالته لنيل شهادة الماجستير، والمعنونة بـ (منهج الكتابة التاريخية عند المؤرخ عماد عبد السلام رؤوف) وفيها عمد إلى بيان منهجية الدكتور عماد في الكتابة التاريخية خلال مسيرته العلمية منذ أول تأليف له سنة ١٩٦٥ ولغاية تاريخ اعداد هذه الرسالة، بالإضافة إلى بيان منهجه في تحقيق المخطوطات وأسلوبه في فهرسة المكتبات، فضلاً عن ثقافته، وبيان سيرته وآثاره التي لم تدرس لحد الآن بصورة متكاملة ضمن إطار الدراسات الأكاديمية، بسبب الفيض المتلاطم من مؤلفاته وهي في تزايد مستمر. وتتكون الدراسة من تمهيد وخمسة فصول مقسمة إلى مباحث، يحمل كل فصل عنواناً خاصاً به.

في التمهيد تطرقنا إلى الحياة الثقافية في بغداد منذ أواخر العهد العثماني ولغاية عام ١٩٦٥م، لإبراز أثر البيئة الثقافية على تكوين الفرد وسلوكه. وتصدى الفصل الأول والمعنون بـ «عماد عبد السلام - حياته وروافد بنائه الفكري والتعليمي قراءة أولية» انتماءاته البيئية والأسرية وتأثيراتها في إعداده وتكوينه الأولى، وتكون هذا الفصل من أربعة مباحث تناول من خلالها بيان سيرته بما فيها، الولادة



والأسرة، والنشأة وثقافته اما المبحث الثالث فخصص لتكوينه الفكري ووظائفه بإيجاز، وكذلك خصصنا المبحث الرابع لجهوده التربوية والتعليمية وآراء المؤرخين المعاصرين له فيه.

وتناول في الفصل الثاني مصادره ومنهجه التاريخي، من خلال الأسس التي اثرت في تحديد اصطلاح ومفهوم علم التاريخ لدى الدكتور عماد عبد السلام رؤوف والوقوف على آرائه في العوامل المؤثرة في حركة التاريخ، والتعرف لأدواته في كتابة التاريخ. في حين تصدى في الفصل الثالث والمعنون بـ «قراءه تحليلية لنماذج من مؤلفاته التاريخية»، الى نماذج من مؤلفاته، منتقيا أربعة من أشهرها وأبرزها في معالجاتها لموضوعات مختلفة دلت محتوياتها بوضوح لا لبس فيه على طريقتة ومنهجه في بحث قضاياها التاريخية، وآليات البحث وأسس انتقائه للموارد التاريخية من مصادر ومراجع مختلفة. وتطرق في الفصل الرابع الى «مؤلفاته في تاريخ الكورد وكوردستان قراءة تحليلية» مصنفنا تلك الدراسات بحسب نوعية القضايا التي عالجها المؤلف، ومنها التاريخ السياسي والعسكري والتاريخ الاجتماعي وتاريخ الفكر والثقافة، وتاريخ المدن، فضلا عن التراجم.

وفي الفصل الخامس وهو الاخير تطرق الى «منهج الدكتور عماد عبد السلام في التحقيق والفهرسة» لأن التحقيق شغل حيزاً كبيراً من إنجازاته، فضلاً عن فهرسة المكتبات والذي يمثل جزءاً مهماً من مسيرته العلمية.

ثالثاً: عماد عبد السلام بحر زاخر لا قصر؛ الأستاذ جواد مطر الموسوي

وفي هذا البحث يأخذنا الأستاذ الدكتور مطر الموسوي ومن خلال مخيال أعاده الى حيث التقى العلامة عبد السلام، رحلة في عمق الزمان وشذاه، حيث تعرف عن قرب لأهم سجاياه، وتمثل بود مجمل عطاياه، فكان لديه نموذجا لم ولن يتكرر. في علوم شتى، بل ومبدع في بعضها، إلا أن شغفه بقراءة احداث التاريخ والاطلاع على خباياه، أوحى اليه ما أوحى أن تقدم وأن الله معك. فقرأ التاريخ عن تمعن ودراية أضافت لخزينه المعرفي خزينا آخر. ليظل علينا حتى يكون الامر قد نضج لعل يوماً او يومين بالاكثر، يستعيد أنفاسه ويصح توقعاته .

ومع ان الجميع يدرك ما لعبد السلام من باع طويل وإبداع في مجال العلوم الإنسانية. وتعاون مع الاخرين، مثمنا ما كان قد قدمه له من إرشادات بشأن التأليف والتحقيق، لا سيما وانه يعد من أروع من عمد الى تحقيق الكتب والاطاريج، فأشار الى جملة من تلك الاطاريج والكتب التي عمد الى تحقيقها، منوها بما استفاده منها سواء في حياته البحثية او خارجها، وقد اشار الى قرابة الاربعين مخطوطة جلها في التاريخ الحديث، سلط فيها الأضواء على حقبة التاريخ الحديث، تفيد القارئ والدارس من الباحثين وطلبة الدراسات العليا، أما آخر مخطوطتين قام بتحقيقهما فهما: مخطوطة: تذكرة المقتفين، وهي مخطوطة نادرة محفوظة في المكتبة الوطنية الفرنسية / باريس وربما هي مخطوطة شهاب الدين أبو الهدى أحمد بن عبد المنعم الواسطي

المعروف بالسهريسي، وعنوان المخطوط الكامل هو: تذكرة المقتفين أشار أولي الصفا وتبصرة المقتدين بطريق السيد تاج العارفين أبي الوفا، فرغ منها سنة (٧٧٧هـ)، كما ذكر إسماعيل البغدادي في ترجمته له وقد شاركه في التحقيق زميل له في جامعة دهوك، وهذه المخطوطة تسلط الضوء على حقبة مهمة من تاريخ التصوف في العراق وانتشاره من القرن السادس حتى القرن الثامن للهجرة ونشرتها الأكاديمية الكردية وصدرت من جامعة صلاح الدين، وفي السنة نفسها نشر مخطوطة أخرى هي: نزهة الادباء في تراجم علماء ووزراء واشراف مدينة السلام.

رابعاً: عماد عبد السلام رؤوف أربعون سنة من دراسة التاريخ وكتابته؛ الدكتور أحمد ناجي الغريري

لم تكن مسألة الكتابة والترجمة للإحياء، فكرة مقبولة عند الكثير من الاساتذة ومن المعنيين بكتابة التاريخ، بحجة اذا كان المترجم له على قيد الحياة، فهذا سيحول دون الافصاح عن كثير من الامور التي يعتقد صاحبها انها اسرار او أنها امور شخصية او تتقاطع مع توجهات اخرين مما سيسبب ذكرها حرجا له، وعليه لن يسمح لأي شخص أن يكتب عنه ويظهر الجانب غير المعلن من حياته وهذا الجانب في تصوري هو الهم في سيرة أي شخص، بوصفها ستحل إشكاليات ولربما قضايا لم تفهم مع مرور الايام.

إلا أن هذا اللون من الكتابة، بات مقبولا وغير مرفوض بعد أن أنجزت أطروحتي عن المؤرخ العراقي المستغرب Mageed Khaeydwri مجيد خدوري. وقد أفادني كثيرا حين كشف

لي اسرار لم تطرقها المصادر التاريخية. وهذا الامر استفدت منه كثيرا بعد أن أفنعت أستاذي الدكتور عماد عبد السلام رؤوف أن يسمح لي ويجيزني للكتابة عنه، لا سيما وأني قد أنجزت كتابين بعد الأطروحة تناولت فيهما سيرة الأستاذين كمال مظهر أحمد والدكتور الأستاذ محسن محمد حسين . وحينها حصلت قناعة الدكتور عبد السلام بتأليف كتاب عنه، فكانت مدة تألّفي لكتابي (عماد عبد السلام رؤوف... أربعون سنة في دراسة التاريخ وكتابته) بمثابة رحلة ممتعة عشتها مع رجل شاءت الأقدار أن تضعه في المكان المناسب، فأسس، وتعلم، وعلم حتى صار عالما موسوعيا، قامة من قامات المؤرخين المعاصرين. وفي هذا الكتاب الذي تبنت طبعه « دار الضياء في النجف الاشرف» وصدر منه سنة ٢٠٠٨ الف نسخة، تطرقنا وبشكل شامل وعميق الى مجمل ما كان عليه من نشاط علمي في مجال التدوين والتنظير للأفكار وتحليل الظواهر التاريخية، والوقوف مليا أمام مصطلح التاريخ، وما تعنيه استنادا للمراحل التاريخية أو الحقب أو المدد. وقد استعرضنا بشكل واف سيرته العلمية مع التركيز على أثر العامل البيئي في التأثير على حركة التاريخ، حيث كانت عائلته منتظمة من أعلى القمة وصولا الى والده أطال الله في عمره.

وإطلالة سريعة على بعض مفاصل الكتاب، فأننا سنفاجأ بالإنتاج العلمي الرائع في موضوعاته والرصين في منهجيته والسلس في تقبله، بل وأكثر من ذلك، كان لي بمثابة محاضرات جاهزة في مجال التحقيق، إذ وجدناه وفي كل كتاب يعمد الى تحقيقه، يفصل





ويوضّح ويؤسس لمسار وأسس التحقيق. ولا يفوتنا أن نشير الى انه اتبع منهاجاً حديثاً في كتابته، التي غلب عليها الأسلوب التحليلي الموضوعي والمنطقي، مبتعداً عن التفسير الأحادي لوقوع الحدث التاريخي، مؤكداً على اثر كل العوامل في التأسيس لوقوع الحدث التاريخي الذي يتأثر بالجوانب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والنفسية والعقدية، فكل عامل من تلك العوامل، تجد له نصيباً من التأثير في وقوع وبلورة حركة التاريخ. وهو يتقاطع مع من يذهب إلى تفسير حركة التاريخ بالاعتماد على عامل واحد، مؤكداً وهو الصحيح: أن اي حدث تاريخي لا يمكن أن يقع بفعل عامل واحد، بل أن هناك مجموعة عوامل تتفاعل فيما بينها لينتج لنا الحدث التاريخي، اما بعض الأحداث التي يقال انها نتجت بفعل عامل واحد، فالواقع أن هذا العامل كان له تأثير أكثر من العوامل الأخرى التي أسهمت بشكل واضح في بلورة الحدث التاريخي ووقوعه، فغلب تأثيره تأثير العوامل الأخرى، وتسمى به.

خامساً: عماد عبد السلام رؤوف ١٩٤٨ / موسوعة أعلام الموصل في القرن العشرين / الدكتور عمر محمد الطالب

بدأ الدكتور عمر محمد الطالب مقاله عن الدكتور عماد عبد السلام رؤوف بخطاً علمي حين أشار الى أن ولادة الدكتور عماد قد حصلت في قضاء تلعفر، واعتقد انه خلط بين اسم الدكتور عماد وبين الاسم الذي سبقه في تلك الموسوعة وهو الدكتور المحامي علي التلعفري (١٩٣٦)^(١). فالدكتور عماد عبد السلام رؤوف كان قد ولد في بغداد سنة

١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م، من عائلة موصلية الأصل عباسية النسب وكان قد تلقى علومه الأولية فيها^(٢). في حين ذكر الدكتور عمر الطالب ان الدكتور عماد كان قد ولد في تلعفر- قضاء في لواء الموصل- وتلقى علومه الأولية فيها. دخل كلية الآداب / قسم التاريخ وتخرج فيها عام ١٩٧٠. واصل دراسته العليا في جامعة القاهرة ونال الماجستير في التاريخ الحديث عام ١٩٧٣ عن رسالته (ولاية الموصل في العهد الجليلي ١٧٢٦-١٨٣٤). ونال الدكتوراه عام ١٩٧٦ في الجامعة ذاتها عن رسالته الحياة الاجتماعية في العراق في عهد المماليك (١٧٤٩-١٨٣١). عين رئيساً لمركز احياء التراث العلمي العربي بجامعة بغداد. واستأذناً للتاريخ الحديث في كلية التربية جامعة بغداد.

وتطرق الى ما انتجه الدكتور عماد عبد السلام، من الكتب المؤلفة والابحاث والمقالات الى جانب العمل على اختراق الجبهات العلمية ومحاولة تأسيس رأي لكل مثقف، ولا سيما منهم المثقف الملتزم بزواجه وحياته الهادئة.

سادساً: ملاحظات حول كتاب المؤرخ عماد عبد السلام رؤوف «الملفة الشخصية» للزعيم عبد الكريم قاسم، تشويه لتاريخ الزعيم» تأليف: علي عجيل منهل

يبدأ المؤلف علي عجيل مشاركته في هذا الحوار ومن خلال ورقة بحثية قدمها، بتفصيل مريح لسيرة عبد السلام، إذ أوجزها بأسطر وفقرات بسيطة، واختزل كل ذلك في بيان بقوله: ولد المؤرخ في بغداد، وتلقى علومه الأولية فيها، دخل كلية الآداب / قسم التاريخ وتخرج فيها عام ١٩٧٠. واصل دراسته العليا في جامعة القاهرة ونال الماجستير في التاريخ الحديث

عام ١٩٧٣ عن رسالته (ولاية الموصل في العهد الجليلي ١٧٢٦-١٨٣٤). ونال الدكتوراه عام ١٩٧٦ في الجامعة ذاتها عن رسالته الحياة (الاجتماعية في العراق في عهد المماليك ١٧٤٩-١٨٣١). وعين رئيساً لمركز إحياء التراث العلمي العربي بجامعة بغداد. وأستاذًا للتاريخ الحديث في كلية التربية جامعة بغداد. ومن ثم عرج علي عجيل منهل على كتاب عبد السلام المعنون بـ (الملفة الشخصية للواء الركن عبد الكريم قاسم) مختزنا مضمون الكتاب بعدة تساؤلات تمحورت حول شخصية الزعيم عبد الكريم قاسم، نافذاً بجدلية ابتكرها ليناقض بعض ما جاء في هذا الكتاب عن عبد الكريم قاسم، وكأنه اراد أن ينهض ويعود به من جديد ليعرض لمحاكمته، وكأن ما أنزل به من عقاب مهين، لم يشف غليلاً، وهذه التساؤلات هي:

هل حقا غير الزعيم اسم أبيه، وهل كان عاقا لوالديه؟ هل حقا أن الزعيم الزاهد يقترض من التجار اليهود في بغداد؟!- والمحاكم تحجز على راتبه- وهذه مجازفة؟ وهل حقا كان (الزعيم) صنيعه المخابرات البريطانية؟

لقد نوه المؤلف بما أبداه عبد السلام رؤوف من جهد بالغ في محاكاة ما يقرب من ٢٠٠ وثيقة سرية وأصيلة تتحدث عن أهم وأدق الجزئيات عن حقيقة كثرة ديون وإجازات عبد الكريم قاسم، أبرزها كثرة ديونه وإجازاته (اختفائه) عن أنظار السلطات العراقية أربعة أشهر في بريطانيا عام ١٩٤٧. ويبدو ان عبد السلام لم يستسلم رغم فاعلية الاضداد منه. وشدد على ان هناك من المعلومات لما يتم تأويلها لان قاسم لم يكن اسمه قد ورد في قوائم المراتب. وقد أكد

عبد السلام أن المصادر التاريخية لم تتطرق ولم ترد فيها رواتب قاسم ومخصصاته وديونه ودائنيه، وإجازاته الكثيرة سواء أكانت مرضية أم اعتيادية، وسفره خارج العراق، وتسوية راتبه التقاعدي بعد إعدامه صباح التاسع من شباط ١٩٦٣، وغير ذلك من الأمور الهامة جدا للاستدلال على اجتماعية وبساطة هذا الرجل. وأكد المؤلف، أن الوثائق التي تصدى لعرضها الكتاب « تغطي المدة المحصورة بين عام ١٩٣٢ وهو تاريخ انتساب قاسم إلى المدرسة العسكرية الملكية (الكلية العسكرية فيما بعد)، وحتى عام ١٩٧٨ عندما سويت معاملة رواتبه التقاعدية بصورة نهائية، ومن ضمنها وضعه بعد ثورة ١٩٥٨»، مؤيدا أن تلك الوثائق «لا تتناول التفاصيل الشخصية لحياة قاسم حسب، بل وتستمد أهميتها أيضاً من الحقبة الحاسمة والحافلة بالأحداث التي وثقتها من تاريخ العراق المعاصر».

وبشأن الأسرار التي كشفها الكتاب، أشار منهل إلى ما ذكره المؤرخ الدكتور عبد السلام، إنها عديدة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر، ما اشارت اليه الوثائق من أن الشاب عبد الكريم «غير أسم والده من جاسم محمد البكر في وثائقه إلى قاسم، في وقت مبكر من حياته، وربما قبل دخوله المدرسة العسكرية الملكية بتاريخ ١٤ أيلول ١٩٣٢، وأن والده اضطر لفقره الشديد، إلى رفع دعوى قضائية ضده، بعد أن تخرج من المدرسة برتبة ملازم ثان، مطالباً إياه بنفقة شهرية تعينه على متطلبات الحياة»، لافتاً إلى أن المحكمة «حكمت لصالح الأب بمبلغ أربعة دنانير وستمئة فلس كنفقة شرعية شهرية تستقطع من راتب ولده، حيث





استمر هذا الاستقطاع يسجل في قوائم رواتب عبد الكريم حتى سنة ١٩٥١». ومضى المؤلف قائلاً، إن الوثائق تكشف أيضاً عن «الضائقة المالية المزمنة والمستديمة التي كانت تلاحق عبد الكريم قاسم، على الرغم من كونه ظل أعزب طيلة حياته، وأنه كان يقيم في القسم الأول من حياته في دار الضباط، التي لم تكن تتطلب إلا أجوراً رمزية»، مضيفاً أن تلك الأزمة المالية كانت «تضطر قاسم إلى الاستدانة المستمرة من أشخاص مختلفين من خارج الجيش، بينهم تجار يهود وآخرون لم تحدد هوياتهم، وأنه كان يعجز أحياناً عن تسديد ما بذمته من أموال، أو يرفض تسديدها لسبب غير مفهوم، فيضطر لمواجهة دعاوهم لتحصيل ديونهم». وذكر المؤلف أن قوائم رواتب قاسم «تحفل بالكثير من المعلومات عن هذا الجانب من حياته، بل أنه كان معتاداً على حجز ربع راتبه شهرياً لتسديد ما بذمته من ديون، ومنها ديون لدار الضباط مقابل إقامته فيه، على ضالة ما كانت تلك الدار تتقاضاه، وديون أخرى للنادي العسكري، لأن قاسم لم يكن يدفع لهاتين المؤسستين مستحقاتهما ما اضطرهما لمفاتحة الجهات العليا في الوزارة لتحصيلها». وأردف المؤلف، أن ملفه قاسم الشخصية تكشف عن «كثرة ما كان يحصل عليه من إجازات مرضية من مستشفى الرشيد العسكري، ومن المستشفى الملكي أحياناً، والسبب الوحيد والمتكرر لذلك هو إصابته بالتهاب الجيوب الأنفية، وقد اضطر لعمل غسيل لها في إحدى تلك الإجازات»، مرجحاً أن تكون هذه المشكلة «السبب الرئيس لعدم قبول قاسم في الطيران العسكري، إذ جرى فحصه في العاشر من

أيلول سنة ١٩٣٥ وتبين عدم صلاحيته لذلك». واستطرد الدكتور رؤوف، أن الوثائق «لم تحدد أسباب طلب قاسم المتكرر منحه إجازات اعتيادية»، منوهاً إلى أنه «لم يكن يقضي تلك الإجازات، التي كانت تمتد من يوم واحد إلى أربعة أشهر كاملة، وسط أسرته في الصويرة (١٣٥ كم شمال الكوت مركز محافظة واسط ١٨٠ كم جنوب شرق العاصمة بغداد)، إنما في بغداد والموصل، أو خارج العراق لاسيما في بريطانيا». وأكد المؤلف أن عماد عبد السلام، لفت الأنظار إلى أن قاسم «توارى عن الأنظار خلال سفرته إلى بريطانيا في عام ١٩٤٧»، شارحاً أن قاسم «لم يبلغ السفارة العراقية في لندن، أو الملحقة العسكرية فيها، بوصوله، حتى أن السفارة اضطرت لإبلاغ بغداد بأنها لا تعلم عن مصيره شيئاً بعد أربعة أشهر من انتهاء إجازته المفترض في الخامس من نيسان ١٩٤٧». وواصل المؤلف - أن وثيقة مؤرخة في التاسع من تموز ١٩٤٧ «تكشف عن تقديم قاسم في ذلك التاريخ عريضة يخبر من خلالها أنه يرقد في إحدى مستشفيات لندن للعلاج على نفقته الخاصة، دون أن يحدد تاريخ دخوله المستشفى وما إذا كان العلاج يتطلب ذلك الوقت كله (أي أربعة أشهر)»، مضيفاً أن القضية «سويت لاحقاً وصرفت لقاسم رواتبه على أساس أنه كان مجازاً مرضياً برغم أنه كان في إجازة اعتيادية بالأساس». وأشار منهل بأن عبد السلام رؤوف ألح إلى تلك الملفة التي تنتهي بذكر تفاصيل مطالبة ورثة قاسم برواتبه التقاعدية، ومستحقاته عن إجازاته الاعتيادية التي لم يتمتع بها، مبيناً أن هذه المسألة سويت نهائياً في ١٢ أيار ١٩٧٨.

منوها بما خلص إليه الدكتور عماد عبد السلام رؤوف إلى أن الطريقة التي اعتمدها في معالجة الوثائق تتلخص بترتيبها على وفق سياقها الزمني وبحسب السنين، ونشر صور أصولها كاملة مع وصف محتويات كل وثيقة، موضحاً أنه لم يشأ أن يتقل الكتاب بمقدمة مطولة عن قاسم إنما عرف بأهمية الملفة من النواحي التاريخية فقط. ويبدو ان علي منهل أخذ على ذكر عبد السلام رؤوف اشارته المتشككة حول الملفة الخاصة بعبد الكريم قاسم. بقوله: لقد عرف عن الدكتور عبد السلام رؤوف دقته العلمية وموضوعيته في دراسة أحداث التاريخ وتحليلها ويعد من ابرز الأكاديميين العراقيين المعاصرين في التاريخ. وعنوان كتابه هو «الملفة الشخصية للواء الركن عبد الكريم قاسم» الصادر عن مؤسسة جين(الحياة) لإحياء التراث الوثائقي والصحفي الكردي في السليمانية، الذي يكشف لأول مرة نحو ٢٠٠ وثيقة مصدرها وزارة الدفاع العراقية تمثل «أسراراً» عن حياة الزعيم وتفاصيل غير معروفة عن حياته الشخصية بعضها خطير جدا وتثير تساؤلات مربكة أحيانا. وقبل تصفح-هذه الوثائق - يشير-المؤرخ رؤوف حول مصدر هذه الوثائق وكيف وصلت الى هذه المؤسسة التي كلفت- المؤرخ - بعرضها بالاشارة الى انها كانت محفوظة في أرشيف وزارة الدفاع العراقية تحت التسلسل ١٠٦٢ وتحتوي على نحو ٢٠٠ وثيقة رسمية قبل أن (تداولها الأيدي) بعد سنة ٢٠٠٣ وتصل إلى هذه المؤسسة الخاصة في كردستان.

ويرى أن لهذه العبارة (تداولها الأيدي) معنى واحداً فقط، وهو أنها سرقت من أرشيف

وزارة الدفاع، وحرفت من ناحية- المضمون والمحتوى - بعد دخول القوات الامريكية لبغداد في ٩ نيسان ٢٠٠٣، أي أنها لم تسلم رسميا الى المركز الوطني لحفظ الوثائق او غيره من الجهات الرسمية او وزارة الدفاع الجديدة ولم يحصل عليها المؤرخ - مباشرة من مصدرها الرسمي للتأكد تماما من شرعيتها وان احتمال إخفاء بعضها (وفبركة) أخرى أمر غير مستبعد، علما أنه تم - في منتصف ثمانينيات القرن الماضي تشكيل لجنة للتدقيق في ما نشر عن ١٤ تموز ١٩٥٨ وقادتها وشخصياتها البارزة وبعضهم كان على قيد الحياة وأدى بشهادته للتاريخ ووضع تحت تصرفهم الأرشيف الرسمي عن اغلب قادتها وأحداثها وخاصة ما كان في مقر الاستخبارات العسكرية و(الأضابير) الشخصية لقادتها وفي مقدمتهم الزعيم عبد الكريم قاسم، ولم يشر أي من هؤلاء الى هذه الملفة الشخصية للزعيم قاسم التي اعتمد عليها هذا الكتاب - ويؤكد منهل أن تلك اللجنة المعنية بدراسة الملفة المتعلقة بالعهد القاسمي، كانت قد اجتمعت في مبنى (دار افاق عربية) الذي كان يترأسه الدكتور محسن الموسوي - في الندوة التي عرفت(ذاكرة التاريخ). ولم ينس منهل أن ينوه بالمستوى العلمي للدكتور عماد، بقوله: مع ثقتنا بما كتبه الدكتور عماد عبد السلام رؤوف، ومع أن هذا الكتاب يتضمن تقدماً دقيقاً للوثائق كما هي، ودون أي تغيير أو تدخل أو إقحام من قبل أي معني بهذه الإشكالية، خدمة للحقيقة والتاريخ وبالتالي «فهو لا يتحمل أي مسؤولية سوى التأكد من صحة هذه الوثائق. ورغبة من المؤلف في بيان بعض المعلومات غير المتوفرة في





المصادر التاريخية، بل من بين الأسرار - أن الشاب عبد الكريم غير أسم والده من جاسم محمد البكر في وثائقه إلى قاسم، في وقت مبكر من حياته، وربما قبل دخوله المدرسة العسكرية الملكية بتاريخ ١٤ أيلول ١٩٣٢، من دون أي تبرير ليترك الامر سائبا تتجاذبه التفسيرات وفقا لمصالحها، فهو ليس من الأسماء النشاز-التي كان يسمي بها أهلنا في العراق- أبناءهم لاعتقادهم بأنها تضمن لهم الحياة خاصة وان العديد من القبائل العربية تلفظ حرف (القاف) بدلا عن حرف (الجيم) فينادون قاسم بجاسم. وتكريسا لتشكك المؤلف منهل بضمون هذا الكتاب او عدم صحوته، ومما- يثير الريبة- هو نشر الكتاب وثيقة تظهر ان والد الزعيم اضطر لفقره الشديد،- إلى رفع دعوى قضائية ضده،- بعد أن تخرج في المدرسة برتبة ملازم ثان، مطالباً إياه بنفقة شهرية تعينه على متطلبات الحياة»، وأن المحكمة «حكمت لصالح الأب بمبلغ أربعة دنانير وستمائة فلس كنفقة شرعية شهرية تستقطع من راتب قاسم» وهو أمر لا ينسجم مع أخلاقية الزعيم وتدينه وورعه ورأفته بالفقراء خاصة فكيف بابيه وفق ما يؤكد اقرب الناس اليه في مجتمع محافظ لا يلجأ فيه الى المحاكم لتسوية الأمور العائلية خاصة ان قاسم قضى حياته زاهدا في الدنيا محافظا على العبادة والتقرب من الله منذ طفولته ولو كان من المفتونين بالمال والدنيا لاستغل منصبه بعد ان أصبح رجل العراق الأول للتعويض عما حرم منه.

ويرى ان ما أشار اليه هذا الكتاب هو ان الادعاء بان الرجل لم يكن بارا بوالديه وان والده تقدم

الى المحكمة بشكوى ضده يناقض كل ما كتب عن شخصية والديه وسيرة قاسم وتدينه. ويعكف منهل على ما أورده عماد عبد السلام من أن أربعة دنانير شهريا؟ ان الأزمة المالية كانت «تضطر قاسم إلى الاستدانة المستمرة من أشخاص مختلفين من خارج الجيش، بينهم تجار يهود وآخرون لم تحدد هوياتهم، وأنه كان يعجز أحيانا عن تسديد ما بذمته من أموال، أو يرفض تسديدها لسبب غير مفهوم، فيضطر لمواجهة دعاواهم لتحصيل ديونهم» وهنا يجد المرء ان من الصعب عليه تقبل بعض الأمور حتى لو وردت في أي نص يتعارض مع الواقع وشهادات المقربين من الزعيم فهو لم يكن متزوجا وليست لديه التزامات اخرى ولم يكن من أصحاب حياة الليل او المرففين وكان راتب الضباط يعد من الرواتب الجيدة آنذاك. ويؤكد منهل ما ذهب اليه عبد السلام من ان الوثائق في هذا الكتاب تكشف عن «الضائقة المالية المزمنة والمستديمة التي كانت تلاحق عبد الكريم قاسم، على الرغم من كونه ظل أعزباً طيلة حياته، وأنه كان يقيم في القسم الأول من حياته في دار الضباط، التي لم تكن تتطلب إلا أجوراً رمزية» فلماذا يضطر الزعيم إذن للاقتراض وهو ما لم يذكره أي من أصدقائه المقربين في الجيش الذين يؤكدون ان ما كان بيده من أموال كان يمنحه بسخاء لغيره حتى اخر لحظة من حياته حسب ما يرد من تفاصيل دقيقة عن حياة الزعيم الخاصة في مذكرات الرفيعي الذي كان مطلعاً على ادق اسرار حياته. ويلتفت منهل لطرح تساؤل آخر مفاده: ما علاقته بالتجار اليهود (الذين يقيمون عليه دعاوى في المحاكم)، وكأننا

لسنا بقائد عسكري يستعد بعد عودته من كفر قاسم عام ١٩٤٨ وجرح خيانة النظام العربي للأرض المقدسة ينزف في ضميره لإسقاط النظام الملكي بل أمام شخصية (تمرغت بالهموم والديون وأروقة المحاكم) وفي هذا ما يناقض الحقيقة ومواقف الزعيم وبطولاته حتى آخر لحظة وهو يواجه الإعدام. ويرى منهل أن كتاب عماد عبد السلام هذا يشير الى موضوع يعاكس تماما طبيعة الزعيم وما ذكره أصدقاؤه من الضباط وهو (كثرة ما كان يحصل عليه الزعيم من إجازات مرضية من مستشفى الرشيد العسكري، ومن المستشفى الملكي أحيانا) لكنه في موضع آخر يشير الى أن الوثائق لم تحدد أسباب طلب قاسم المتكرر منحه إجازات اعتيادية وكما هو معروف فان عدد أيام الإجازات العسكرية محدد ولا بد من كتابة مبررات لها فأين اختفت المبررات في هذه الطلبات؟ وبحسب ما عرف عن الزعيم فانه كان في حالة صحية جيدة ولم يكن يعاني سوى من التهاب الجيوب الأنفية، و الأمر الغريب هنا أن هذه الوثائق تكشف ان الزعيم «لم يكن يقضي تلك الإجازات، التي كانت تمتد من يوم واحد إلى أربعة أشهر كاملة، وسط أسرته في الصورة إنما في بغداد والموصل، أو خارج العراق لاسيما في بريطانيا، ان الانطباع الاول الذي توحى به هذه الوثيقة ان الزعيم كان مراوغا وغير منضبط ويسعى وراء الإجازات للتهرب من الواجب وان علاقته بوالديه وأشقائه كانت شبه مقطوعة لأنه لا يعود لأسرته في فتره الاجازة كما هي العادة خاصة انه لم يتزوج حسب هذه الوثائق! ثم لا ندري كيف لشخص يلاحقه الدائنون ان يجد المال الكافي ليقضي إجازاته بين بغداد والموصل

ولندن؟ وفي هذا، ما يثير الريبة ويكون مبعثا على الشك. ولعل اخطر وثيقة يكشفها هذا الكتاب هي «اختفاء قاسم عن الأنظار خلال سفرته إلى بريطانيا في عام ١٩٤٧ بعد أربعة أشهر من انتهاء إجازته المفترض في الخامس من نيسان»، دون ان يبلغ السفارة العراقية، أو الملحقة العسكرية في لندن، اللتين نفتا علمهما بوصوله او مكان تواجده. وانه بعد اكثر من شهرين من ذلك التاريخ تقدم بعريضة يخبر من خلالها وزارة الدفاع أنه يرقد في إحدى مستشفيات لندن للعلاج على نفقته الخاصة، دون أن يحدد تاريخ دخوله المستشفى وما إذا كان العلاج يتطلب ذلك الوقت كله. ويتساءل منهل اذا كان عبد الكريم مفلسا في لندن فما الذي يفعله طوال أربعة أشهر في وقت كان الصراع العسكري بين الجيوش العربية والاسرائيلية - والكل يعلم حماس الزعيم وبطولته وتهوره في تلك الحرب و يطرح الأمر احتمال اتصال جهاز المخابرات البريطاني بالزعيم. وأخيرا ينتهي الى القول: بأن كتاب الدكتور عماد رؤوف - إضافة متميزة لمكتبة الزعيم الشهيد عبد الكريم قاسم لان ما جاء في صفحاتهما يخرج للضوء حقائق جديدة بغض النظر عن المواقف الشخصية وما ترسخ عن شخصية الزعيم في الأذهان من صورة يحن اليها الناس - لصوفيتها وإخلاصها وعفتها- في زمن السقوط والفساد والنهب فدراسة التاريخ إنما هو سعي دوما لكشف الغامض منه.

● المصادر والمراجع:

- موسوعة أعلام الموصل في القرن العشرين، حرف العين.
- جمال الكيلاني: عماد عبد السلام رؤوف: المؤرخ والمفكر، الديار اللبنانية، ٢٠١٢.
- الغريبي: أحمد ناجي، اربعون سنة في دراسة التاريخ وكتابته، الضياء، الطبعة الأولى، النجف الاشرف، ٢٠٠٥.



Emad Abdul Salam Raouf

In the eyes of Iraqi researchers

By: **Dr. Ahmed Naji Al-Ghurery**
College of Arts \ University of Kufa

Abstract

The research touched on talking about everyone who accompanied Dr. Imad Abdul Salam or be a student on his hands Or cited some of his books in his studies of professors And all who have witnessed him in good manners and his behavior and length of his cards. Then the researcher talked about Dr. Imad's views and his unique positions about the prevailing and different from what was established in the minds Even if it violates the ruling authority, The research also talked about a part of his scientific personality addressed by Dr. Ibrahim Khalil Al-Alaf And the researcher Noshewan Mohamed Majid, Prof. Dr. Jawad Matar Al-Musawi and Dr. Omar Mohammed Al-Taleb, and Prof. Dr. Ali Agil Manhal.

